مدارس الفكر الاقتصادي

أولا: الفكر الاقتصادي لمدرسة الطبيعيين (الفيزيوقراط)

نشأت في فرنسا مجموعة من الأفكار الاقتصادية في نهاية حكم لويس 15، اصطلح على تسميتها بأفكار الطبيعيين وكان ذلك عن طريق فلاسفة اقتصاديين قدموا نظرية على النشاط الاقتصادي وهي نظرية مبنية على دراسة الإنسان وعلاقاته بالعالم الطبيعي وعلى رأس هذه المدرسة طبيب فرنسي يدعى فرنسوا كناي، ومن أهم مؤلفاته "الجدول الاقتصادي" وقد انتشرت أفكاره ولاقت نجاحاً كبيراً في الأوساط العلمية والسياسية.

يتميز أصحاب المدرسة الطبيعية بأمرين وهما أنهم آخر المفكرين الذين تعرضوا لمشكلة التفضل بين أنواع النشاط الاقتصادي والبحث عن أفضل المهن وكذلك أول المفكرين الذين بحثوا بطريقة منظمة عن أفضل النظم الاقتصادية التي تحقق الرفاهية وطالبوا بالأخذ بنظام الملكية الخاصة وضرورة الحرية الفردية.

1. أهم أفكار الطبيعيون:

- نادى الطبيعيون بسياسة الحرية الاقتصادية، وعدم تدخل الدولة في الحياة الاقتصادية، أي ترك النشاط الاقتصادي حراً، وهم بذلك يخالفون من سبقهم (التجاريون).
- نادى الطبيعيون أيضا بتطبيق الحرية الاقتصادية داخلياً، والتي انعكست على الشعار الذي تبنته المدارس لاحقاً بعقود بعد هذه المدرسة، وهو شعار "دعه يعمل"، وفي مجال العلاقات الاقتصادية الخارجية انعكس الشعار الآخر المكمل لهذا الشعار "دعه يمر"، فتجسد مبدأ ترك الناس تعمل بحرية مع ترك السلع وعناصر الإنتاج تمر بحرية بين الحدود.
- اقتصر دور الدولة في الفكر الطبيعي في وضع التشريعات الاقتصادية ووضع الأطر العامة للأنشطة الاقتصادية، ومن مهام الدولة أيضا تحقيق الأمن الداخلي والخارجي وحماية الملكية الفردية من الاعتداء.
- يرى الطبيعيون أن القوانين في الطبيعة، وأن الكون يسير كونه محكوم بما أودعه الله سبحانه وتعالى فيه، فالإيمان بوجود قوانين طبيعية تتولى الأمور كلها بما فيها الحياة الاقتصادية مع تكريس مبدأ المنفعة الشخصية، والمنافسة الحرة، وتميزت هذه القوانين بأنها:
  - مطلقة: أي لا استثناء لها لأنها من الطبيعة.
  - عالمية: تنطبق على جميع دول العالم، وليست محصورة بنطاق أو منطقة جغرافية.
  - أزلية: أي لا تتغير عبر الزمن.
  - إلاهية: أي أن الخالق سبحانه وتعالى هو الذي فرضها ولا يجوز معارضتها.

كان الطبيعيون بهذه الأفكار متفائلون في نظرتهم لسير الحياة الاقتصادية، ومن مظاهر التفاؤل اعتقادهم أن سعي الفرد لتحقيق مبدأ المنفعة الشخصية يؤدي لتحقيق المصلحة الجماعية.

2. أهم المفكرين في المدرسة الطبيعية:

- **الطبيب الفرنسي فرنسوا كناي:** ومن أفكاره أن التدفق في السلع والنقود في الاقتصاد يتبع الدورة الدموية في جسم الإنسان فتبدأ من القلب وتعود إليه، كما قسم المجتمع في إطار عمل الجدول الاقتصادي إلى:
  - طبقة منتجة: وهم المزارعون الذين ينظمون ويسيرون الإنتاج ويساهمون في تنمية الثروات بفضل الناتج الصافي.

- طبقة ملاك العقارات: وهم المستفيدون من الناتج الصافي للأرض.
- طبقة عقيمة: وتضم كل العاملين في التجارة والصناعة وكل القطاعات غير الزراعة.

يقوم الجدول الاقتصادي حسب كناي علة بيان تداول الناتج الصافي، حيث بافتراض أن الزراعة تنتج ما قيمته 5 مليار فرنك سوف يحتفظ العمال الزراعيون بـ 2 مليار فرنك لمواجهة نفقاتهم على المنتجات الزراعية وتكاليف الإنتاج الزراعي، أما 3 مليار فرنك المتبقية فينفقون منها 1 مليار لشراء منتجات من الطبقة العقيمة في شكل سلع صناعية وخدمات تجارية، ويقومون بدفع 2 مليار لطبقة الملاك، الذين بدورهم ينفقون 1 مليار لشراء سلع زراعية و1 مليار لشراء السلع والخدمات من الطبقة العقيمة.

يصبح لدى الطبقة العقيمة 2 مليار فرنك (أحدها من الزراعيين وآخر من الملاك)، فتنفق هذه الطبقة دخلها لشراء السلع الزراعية، وبالتالي يعود من جديد كل قيمة الإنتاج الزراعي إلى طبقة المنتجين، وهذا تعود دورة الناتج الصافي إلى النقطة التي بدأت منها.

- **آن روبير جاك تورغو**: كان وزير المالية في فرنسا وصديقا لكناي، رفض أفكار الطبيعيين المتعلقة بالسياسة، وبأن الزراعة هي النشاط الوحيد المنتج، واعتبر من أتباع المدرسة الحرة نظراً لإصلاحاته المتعلقة بتحرير التجارة، وقد أشار لفانون تناقص الغلة وفرق بين الأثمان الحقيقية (نفقة الإنتاج) وأثمان السوق (العرض والطلب).

3. خلاصة أفكار الطبيعيون وأثرها على الفكر الاقتصادي:

- قدم الطبيعيون خطوة مهمة في تطور الفكر الاقتصادي، ليكون علماً مستقلا فقد اعتبروه علما اجتماعياً، كما أن مبدأ الحرية الاقتصادية والمذهب الاقتصادي الحر جعلهم أول مدرسة للاقتصاديين، كما فصلوا بين الاقتصاد والاقتصاد السياسي باعتباره علما مستقلا ويعتبر كناي أبو الاقتصاد السياسي.
- تغيرت نظرة الاقتصاديين للثروة الحقيقية فبعد أن كانت النقود (متمثلة في المعادن النفيسة) هي الثروة الحقيقية، أصبحت ثروة الدول أو الاقتصاد تتمثل في الإنتاج.
- الطبيعيون أول من أعطى صورة عن الدورة الاقتصادية (دورة الناتج الصافي) وكيفية توزيعه بين الطبقات الاجتماعية المختلفة.
- عملوا على تشجيع الصناعة، من خلال تأييد حرية التجارة والتجارة الخارجية التي كانت مقيدة عند التجاريين، برفعهم شعار "دعه يعمل دعه يمر".